والليلة الثانية بالعلم . والليلة الثالثة بالدين ـ فقال حليم ساحضر هذه الاجتماعات لا محالة . ثم ودّع وخرج مع رفيقيه وهو يقول في نفسه انه قد جاء في احسن الاوقات واهمها

الفصل الخامس

تمهيد الجلسات الثلاث

« رجاء الشيخ الرئيس »
وشكاوى اهل العلم والدين والمال

وفي المساء برزت الحديقة بالانوار الساطعة واقبل الناس عليها من الجهات الثلاث واكثرهم سكوت كانهم يفكرون في امر عظيم . وكانت اشكال ملابسهم تدل على انهم من طبقات مختلفة بين تجار وعمال واهل علم واهل دين . وكان كل فريق مشغولاً عن الفريق الآخر بمناجاة حزبه همساً استعداداً للجدال العلني الشديد . وما دخلت الساعة التاسعة مساء حتى غصت الحديقة بالناس على اتساعها وجلسوا ينتظرون . وكان حليم ورفيقه قد اختارا مقعداً في زاوية مظلمة قريبة من دكة الرئيس فكانا يشاهدان الحاضرين دون ان يشاهدهما احد

وفي الساعة التاسعة والدقيقة الاولى جلس رئيس ذلك الاجتماع على كرسيه وهو رئيس جمهورية المدن الثلاث . وكان شيخا جليلاً في نحو الثمانين من العمر وهو بقية الشيوخ الذين عاصروا الشيخ سليمان مؤسس هذه المدن . فلما سكنت الضوضاء اخذ يقول

ايها الابناء الاعزاء

قد عزمتم على عقد ثلاثة اجتماعات كبرى لتتباحثوا في مسائلكم المهمة والمشاكل التي نغّصت عيشكم وعطّلت اشغالكم وقسمت قلوبكم وعيالكم . فيسرّني انا حاكمكم وابوكم ان تؤدي هذه الاجتماعات الى قطع كل ما بينكم من اسباب النزاع والخلاف حرصاً على سعادتكم وعلى عمران مدننا الثلاث التي تعبنا في انشائها وترقية شؤونها . انما قبل الشروع في المباحثة اتمنى من صميم قلبي امرًا . وهو ان يجتنب كل فريق منكم في اثناء كلامه كل قول يسوء الآخر فان الانسان يستطيع ان يصرّح بادب ولطف بكل ما توجب عليه مصلحته التصريح به . ولا يجدي العدوان والشدة نفعًا . وانني اسال الله ان يوفق اعمالكم ويسدّد آراءكم وينير عقولكم

فهنا حصلت ضجة بين بعض من اهل العلم . فانتصب رجل من فريق الدين وقال بصوت جهوري : ماذا ؟ هل صرتم تكرهون ان تسمعوا اسم الله ايضاً . فصرخ خمسون عاملاً من العملة كانوا جالسين قرب فريق اهل العلم : كذاب كذاب . فانتصب حينئذ احد هؤلاء وكان اقربهم الى العملة وقال مخاطباً فريق اهل الدين : لا تبدأوا بالعدوان اذا كنتم مخلصين في طلب المسالمة . فقال الشيخ الرئيس حينئذ :

— لستُ اجهل سبب الضجة التي حصلت بين بعض من الابناء . فانهم لا يزالون يطلبون ترك المسائل الدينية للجوامع والكنائس ولذلك لا يجيزون لحاكمهم ان يلفظ عبارة دينية في منصبه الرسمي . واناعلى ثقة من ان ذلك لم يكن منهم عن انكار للمسائل الدينية بل عن رغبة في الفصل بين شؤون المذاهب المختلفة . ولكني اظن انهم يُجيزون لشيخ بسني صار قريباً من القبر ان يستسلم لعواطفه احياناً

ثم قال الرئيس

— اما الآن فاننا نسمع الشكاوى التي اجتمعنا للنظر فيها بصدق وحسن نية . ولنعلمن قبلُ نوعها وتفصيلها

فنهض حينئذ زعيم العملة وقال

— ان شكوى العمال من طمع ارباب الاموال . فالعمال يتعبون ويجنون وارباب الاموال يتمتعون بتعبهم ويتلذذون . فمن العدل ان يشارك اولئك هؤلاء في كل الاشياء

فنهض النائب عن ارباب الاموال وقال

— ان شكوى ارباب الاموال لم تكن من العملة انفسهم فاننا نحبّ عمالنا كما نحبُّ اولادنا . كيف لا وهم رفقاؤنا وشركاؤنا في اعمالنا . وانما شكوانا من بعض الطامعين الذين يثيرون خواطرهم علينا ويحرّضون طبقتهم على طبقتنا . فلتفصل الحكومة العمال عن هؤلاء المحرّضين فيستتب السلام بين الجميع

فنهض رجل من فريق العلم وقال

— اذا صحّ انه متى رُفعت يد الذين يُسمونهم « محرضين » من بين العمال واصحاب الاموال فان السلام يستتبُّ في الحال فقد زال نصف شكوى اهل العلم . وانما يبقى عليهم في هذا الموضوع ان يبحثوا هل يرافق السلام الذي يحصل حينئذ هناء العمال وراحتهم وسعادتهم ام يبقى سلامهم موتاً ادبياً ومادياً كسلام اهل القبور . واننا معشر اهل العلم نفتخر في هذا العصر باننا حللنا في هذه المسألة محل اهل الاديان وصار همنا الاول التفكير

بانهاض الشعوب وترفيتها بينما نرى اهل الاديان يسلّمون الشعوب بايديهم الى الاطماع المختلفة . فكان مثلهم مثل ملوك يخلعون انفسهم بانفسهم . ولذلك تراهم يكثرون من التزلف للاغنياء وارباب الاموال ويجارونهم في كل شيء حتى في ما يخالف مبادئهم الدينية وينقض اساسها ويلهون الشعب في اثناء ذلك بالتدجيل عليه ليشغلوه بالاوهام والاحلام عن مصالحه الحقيقيّة . فغرض العلم في هذا الزمان تفتيح عيني الشعب وترقية احواله والضرب على ايدي المدجّلين . وشكواه من كل من يحاول منعه من الوصول الى هذا الغرض الشريف

فهمس حينئذ واحد من اهل العلم كان قريباً من الخطيب فى اذن جاره قائلاً : ليت اصحابنا انابوا عنهم خطيباً اكثر اعتدالاً من هذا الخطيب فان مقاماً كهذا المقام لا يفيد فيه غير التأني والاعتدال . اما رأيت السياسة التي اتخذها نائب ارباب الاموال

وكان قد نهض نائب فريق الدين فقال

— اما شكوانا نحن خدمة الله تعالى فمن اولئك الكفرة الجاحدين الذين يبثون روح ضلالهم وكفرهم في النفوس . فاننا والحق يُقال لولاهم لكنا كلنا في الف نعمة من الله تعالى . فانهم بدأوا ضلالهم بيننا بتعليم اولادنا مبادئهم الطبيعية الممقوتة والعياذ بالله . ثم تدرّجوا منها الى انكار المذاهب المختلفة فالوحي وجحود الخالق سبحانه وتعالى . فما دام هؤلاء المفسدون يفسدون عقول الناس فلا سلام ولا راحة عندنا

فقال الشيخ الرئيس حينئذ : نعم هذه هي الشكاوى المختلفة التي مرّ عليّ عشرات سنوات وانا اسمعها . فاستحلفكم بكل ما هو عزيز ومقدس لديكم . استحلفكم بالشيخ الجليل المحسن الى هذه المدن والواقف الآن بيننا في وسط الحديقة على تمثاله الرخامي يسمع كلامنا وينظر الينا — ان تكسروا حدتكم قليلاً وتتباحثوا في مشاكلكم بسلام وادب . فاننا كلنا يا ابنائي اخوان . وكلنا في هذه الارض ضيوف وغرباء

اجارتنا انا غريبان ههنا وكل غريب للغريب قريبُ

وانتم تعلمون ان الانسان لا يعيش في الارض عمرين وان ايامه فيها معدودة . فلماذا لا يصرف هذه الايام بما يدعو الى الراحة بدل ان يصرفها في خصام صبياني . هل ان حطام الدنيا وخيراتها الزائلة ومسراتها الفانية تستحق هذا الاقتتال الشديد عليها . اما سمعتم ذلك القول البديع المنسوب لحكيم عظيم (١)

---

(١) فيلسوف العرب والعجم ابي نصر الفارابي

اخي خلّ حيّزذي باطلٍ وكن للحقائق في حيّزِ
فما الدار دار مقامٍ لنـا وما المرءُ في الارض بالمعجز
ينافس هذا لهـذا علي اقلّ من الكلم الموجز
وهل نحن الاّ خطوط وقعن علي نقطة وقع مستوفز
محيط السماوات اولى بنا فماذا التنافس في مركز

فتباحثوا الآن في مسائلكم واذكروا ان عمران مدننا وخرابها متوقفان على نتيجة بحثكم . ولنبدأ اولاً بمشكلة العمال وارباب الاموال وان كانت هذه المسائل كلها مرتبطة بعضها ببعض

الفصل السادس

الجلسة الاولى

المال ومشاكله

فساد حينئذ في الحديقة سكوت تام لم يُسمع في اثنائه سوى حفيف الاوراق وهمس بعض السيدات اللواتي كن جالسات على مقعد في زاوية مقابلة للزاوية التي جلس فيها حليم ورفيقه . وكان حليم قد بدا يرمي ببصره الى هؤلاء السيدات منذ لمح وجودهن هناك لعله يجد ضالته بينهن

دعوى زعيم العمال

وبعد دقيقة تقدم زعيم من زعماء حزب العمال وقال مفتتحاً البحث

ـ لقد احسنتم في تخصيصكم الجلسة الاولى بمشاكل العمال واصحاب الاعمال لان هذه اكبر المشاكل في الحقيقة . ومتى حللناها حللنا معها سواها . ولكن لا سبيل الى حلها الا بطريقة واحدة . وهي اشراك العمال في ربح الاعمال . فاننا الآن نخدم اصحاب الاعمال كما يخدم العبد سيده . واسعدنا حظاً واعظمنا قدراً يتناول في الشهر مائة فرنك . اي يأخذ في السنة اجرة لعمله ١٢٠٠ فرنك . فاذا افترضنا ان عددنا في العمل ٣٠ عاملاً كان مجموع ربحنا جميعاً في العام ٣٦ الف فرنك . على حين ان ذلك العمل يربح في كل عام مليون فرنك ربحاً مجرداً . وكل هذه القيمة تذهب وتنصبُّ في صندوق صاحب المعمل مع اننا نحن